النيازك

اذا كانت الدقائق تندفع من شمسنا ومن غيرها من الشموس على ما تقدَّم فالواصل منها الى الارض شيء قليل جدًّا وما بقي يسير في الفضاء الى ان يلاقي بعضهُ بعضًا فيتجاذب ويتماسك الى ان تكثر الكهربائية على سطح مجموعهِ ولا تعود تسمح بانضمام غيرهِ اليهِ فتنتشر في الفضاء اجسام صغيرة تجذب الارض بعضها حينما تدنو منها فتسرع اليها وتشتعل من السرعة والاحتكاك بالهواء وهي النيازك وقد يصل بعضها الى الارض سليمًا وهي الرجم ويقع بعضها على شموس اخرى وكرات اخرى غير الكرة الارضية كما يقع على الارض والشمس دقائق من تلك الشموس وتلك الكرات فيستمر التبادل بين اجرام الكون

السديم

السديم لطخة بين النجوم كالضباب المنير يظهر من البحث في نورهِ انهُ غازي في الغالب. وقد اشكل امرهُ على العلماء لانهُ ان كانت حرارتهُ شديدة حتى يرسل نورهُ الينا فكيف يحفظ قوامهُ على لطافتهِ ولا يتمزق اربًا لان الجذب بين دقائق الغاز ضعيف جدًّا حتى اذا حمي قليلاً انتشر ولم يستطع ان يحفظ قوامهُ ولكن يمكن ان يعلل اشراق السديم على مذهب ارهنيوس بان نورهُ حادث من وقوع هذه الدقائق عليهِ من الخارج فانها تأتيهِ مكهربة بالكهربائية السالبة فتفرّغ كهربائيتها وينير بها غاز السديم كما ينير الغاز في انابيب كروكس بالمجرى الكهربائي. ويرد السديم غير ضائر لان نور الغاز يشتد باشتداد برودتهِ

هذه خلاصة مذهب ارهنيوس وما يُعلَّل بهِ من ظواهر الجو وحوادث الطبيعة وهو من ابدع المذاهب الحديثة واقربها الى التصديق

دلائل حسن التهذيب

وقفت في مجلة انكليزية تدعى " اديوكاشنل رفيو " على مقالة للاستاذ نيكولاس مرّي بتلر مدرس الفلسفة في كلية كولمبيا فاحببت ترجمتها ونشرها على صفحات المقتطف لما فيها من الفائدة لنا نحن ابناء المشرق وقد تصرفت في الترجمة تصرفًا ظاهرًا فحذفت واضفت على ما لاح لي من مقتضيات المقام — قال الكاتب

قام كومينيس الانكليزي منذ مئتين وخمسين سنة وطلب ان تنشأ مدرسة كلية في لندن يجتمع فيها رجال العلم من كل صوب ويؤلفون كتابًا يضمنونهُ مجموع حكمة البشر وعلومهم على

اسلوب يلائم حاجات الناس في الحاضر والمستقبل . وكان مشروعهُ هذا جذّابًا لاهل القرن السابع عشر ولا غرو فقد كان معتقدهم اذ ذاك ان العلوم ليست الاّ كية من الحقائق او المحفوظات ينبغي على المتعلم استيعابها .

ولا يزال هذا المعتقد شائعًا بين اهل هذا القرن الساعين وراء المفيد القاصديهِ من اقرب ابوابهِ . فكم من مرة يستدلُّ على تهذيب فلان بعدد ما يعرفهُ من اللغات او بتعدد العلوم التي تلقاها في المدرسة وبمقدار ما وعاهُ من الحقائق في ذاكرتهِ ثم يظهر بالاختبار ان مثل هذا الاستدلال باطل وان للتهذيب الحقيقي مظاهر اخرى ابعد مرمى وافضل عائدة

فما هو التهذيب إذَن هل هو ان يعرف الانسان احوال الطبيعة معرفة تامة منظمة فان كان كذلك فكل عالم من المتقدمين والمتأخرين يكون في مصاف غير المهذبين . او التهذيب ان يكون للانسان ميل خاص للنظر في بدائع الفنون والآداب ويقضي ايامهُ بالتلذذ التصوري كأنهُ في عالم الخيال لا الاعمال . فان كان كذلك فكثيرون من اهل العلم والعمل ممن قادوا افكار معاصريهم وشخّصوا المبدأ الكمالي في زمانهم واظهروا اسمى الصفات العقلية والادبية يعدون من جملة غير المهذبين

ومعلوم ان حشد المعارف يحدق بنا الآن من كل جهة ويذهلنا بوجوه اختلافاتهِ ومراميهِ وعلى كلٍّ ان يتنحى عن الكثير ويختار القليل . فما احرج الموقف وما اصعب الاختيار وما اكثر الذين لا يحسنون التروي فيعون من المعارف ما لا يجدُون منهُ مغنمًا ولا يدفعون بهِ مغرمًا فكأنهم يكتفون بقول الناس عنهم فلان عالم حافظ لا يفوتهُ شاذ ولا ضرب من تخريجات الكلام مع ان واحدهم لا يملك من حطام الدنيا شيئًا يذكر ولا يمكنهُ استخدام محفوظاتهِ التي ينافس بها مع رجال الزمان الطالبين الرزق من ابوابهِ الناحتين الخير من معادنهِ

وعليهِ فبدا التعلُّم لقصد حشد المعارف واعتبار كميتها بصرف النظر عن امكان استخدامها والانتفاع بها يسقط من نفسهِ ويكون من غايتنا التنقيب عن مبدإٍ آخر في وجهة أُخرى

والمتأمل في حقائق الحياة المحلل ماجرياتها يرى ان المعارف والفواعل اجمالاً لا ترد على وتيرة واحدة ولا تؤثر في العقل تأثيرًا واحدًا وهي سنَّة الله في خلقهِ بها تحفظ الموازنة بين افراد الهيئة الاجتماعية ويحصل التعاضد والتعاون وتقسيم الاعمال لاختلاف المباديء والمشارب والافكار والمساعي والنيات

انظر الى آلة نفيسة ترَ ان اجزاءها لا يصح التبادل بينها لان ثمَّ حاجات ورغائب لا تسدُّ ولا تنال بانابة هذا الجزء عن ذاك . ومثل ذلك اوجه التمدن العملية والادبية والفنية والنظامية

والدينية فمع انها تشتبك بعضها ببعض اشتباكاً وتظهر كأنها غير مستقلة بعضها عن بعض فهي بالحقيقة مستقلة بمعنى انهُ لا يمكن لاحدها ان ينوب مناب الآخر او ان يقوم مقامهُ فينبغي ان يكون لكلٍّ من هذه الاوجه الخمسة علاقة ما في كل تعليم غايتهُ التهذيب . وهذا التعليم متى انتهى الى التثقيف لا نقاس كميتهُ بالفاظٍ وتعبيرات علمية او ادبية او فنية او نظامية او دينية بل بما ينتجهُ من الصفات في عقل المدرَّب وسلوكهِ . والى هذه الصفات ينظر المستدل على حسن التهذيب لا الى ظواهر المعرفة ومقدار موعيات الذاكرة او محفوظات الذهن . وتوصُّلاً الى ذلك اذكر خمسة ادلة لحسن التهذيب

﴿ اولها اتقان استعمال اللغة الوطنية ﴾ . وهذا امر حديث في عالم التهذيب لان اللغات الاوربية الحديثة لم تُعتبر من وسائل التهذيب الاَّ بعدما انتقض حصر وسائط التعليم باللغة اللاتينية عند نهاية الاعصر المتوسطة . ففي سنة ١٥٤٩ عهد جاك دي بلاي درس اللغة الافرنسية بتصريحهِ " انها ليست مفتقرة كما يظن الكثيرون " ووضع ملكستر بعدهُ بقليل كتاباً في التعليم اضطرَّ ان يبين فيهِ سبب وضعهِ في الانكليزية عوضاً عن اللاتينية — كأن التأليف ينبغي ان يظل محصوراً في اللاتينية

وهكذا كانت الحال في اللغة الالمانية وبقي اثرٌ منها ايضاً حتى قام الامبراطور الحالي وصرَّح لمجمع برلين المدرسي سنة ١٨٩٠ ان التدريس مفتقر الى اساس وطني وان اساس كل الدروس يجب ان يكون الالمانية كما انهُ يجب على المعلمين ان يمرنوا الصغار ويربوهم لينشأوا الماليين لا رومانًا ولا رومانًا وان الالمانية يلزم ان تكون المركز الذي يدور حولهُ كل فرع من فروع التعليم وان بروجرام مدارس الحكومة ينبغي ان ينقَّح تنقيحاً يجعل لدرس الالمانية وآدابها المحل الاول

هذا كلام امبراطور المانيا العظيم والالمانية على ما هي عليهِ من التقدم والاعتبار بين لغات اوربا فمن لنا نحن الناطقين بالضاد من حكامنا من ينهض ويصرح للمعلمين وارباب المدارس الاجنبية والوطنية برغبتهِ في تعزيز جانب العربية وانتشالها من حال ضعفها وجعلها لغة حية تنمو كاللغات الاوربية فيرغب في تحصيلها ابناؤها وغيرهم وتنتشر فيها التآليف العديدة المفيدة

وما دامت اللغة محصورة في كتب الادب شعرًا ونثرًا لا من يضع فيها المؤلفات العلمية والفنية والاجتماعية ويسير بها على مطالب العصر سوى ما تأتي بهِ بعض الجرائد والمجلات فايقن انها قريبة من شفا جرف هارٍ وزمان سقوطها ليس ببعيد

واذا كان اول دليل عند العالم الاوربي على حسن التهذيب جودة استعمال اللغة الوطنية فاين درجة شباننا وطلبة مدارسنا من التهذيب الحقيقي وكلهم قاصرٌ عن التعبير عن افكارهِ بلغتهِ

تعبيرًا تامًّا مفهومًا فانهُ اذا اراد احدهم ان يذكر حادثة تاريخية او يشرح مسألة علمية او يصف منظرًا رائعًا تعذَّر عليهِ استعمال اللغة التي ينطق بها لانها غير فصيحة ولم يجد في محفوظاتهِ من الالفاظ والتراكيب ما يفي بالغرض المطلوب

واذا شاء احدهم ترجمة مقالة ما فانهُ يلاقي الامرَّين في التفتيش عن الفاظ واوضاع علمية لغوية تطابق المقصود اذ ليس لهُ ان يشتق صيغة جديدة لما يعرض امامهُ من الالفاظ العلمية الجديدة في اللغات الاوربية الحية او ان يسوق كلمة لغير معناها الحرفي المنقول عن سادتهِ العرب فكأن القواعد وجدت قبل الالفاظ وكأن الانكليزية مثلاً او الافرنسية انسب من العربية واقدر على اشتقاق الكلمات او كأن اللغة غير خاضعة لناموس النمو شان الصلد الاصم او كأن في لغة العصور الخوالي ما يسد كل عوز في لغة العصر الحالي ويقوم بكل مطلب

فاليكم ايها اللغويون ارفع صوتي الضعيف واقول لا تضيقوا على الكتَّاب والطلبة الاحداث بكثرة انتقاداتكم ولا تسدوا باب التعريب بل تسامحوا في اوضاع الكلمات واقبلوا من المعرَّب ما كان سهلاً منسجمًا واعلموا ان مفردات اللغة واصطلاحاتها متى تداولتها اقلام الكتاب وتنازعتها عوامل الاستعمال عاش منها جانب وهلك جانب طبقًا لناموس بقاء الانسب المسلط على عالمي النبات والحيوان

﴿ اما الدليل الثاني على التهذيب الصحيح فهو حسن السلوك ﴾ ألا ترى انهُ يستحيل على الشخص ان يكون حسن السلوك في كل زمان ومكان ما لم يكن مقتنعًا في نفسهِ بفضل هذا الخلق وجمالهِ. فحسن السلوك إذَن مظهرٌ لما انطوت عليهِ النفس واستحسنهُ العقل فان كان مصنَّعًا فحكمهُ حكم غشاء خارجي يزفهُ اقل مس لانانية صاحبهِ. ولا يكون الانسان حسن السلوك ما لم يكن في نفسهِ ترفُّع واحترام يقودانهِ الى احترام غيرهِ وخير تحك لانانية الشخص سلوكهُ مع من دونهُ لان سلوكهُ مع المساوين لهُ او مع مَن هم فوقهُ مكيَّف بأغراض شتى يصعب معها معرفة الحقيقي من الملبَّس

وليكن معلومًا انهُ بقدر ما نظهر لاخواننا من الاحترام والمراعاة والتلطف يحكَم علينا فيما اذا كان سلوكنا هذا عرَضًا مفارقًا او خلقًا ناشئًا عن حسن تربية مغروسًا في افكارنا مثمرًا في افعالنا. قال الفيلسوف كنْت منذ قرن ونيف ان الانسان يحيا بنفسهِ لنفسهِ لا ليكون آلة تحركها ارادة هذا او اميال ذاك وعليهِ فاعمالهُ سواء كانت مختصة بهِ وحدهُ او متعلقة بغيرهِ من الاحياء العاقلة ينبغي ان تعتبر صادرة من حي مطالَب لهُ من الحقوق الاجتماعية ما لغيرهِ. وبديهي ان حسن السلوك مبني على ادراك هذه الحقيقة وكل تهذيب يقصر عن غرس المبدإ الادبي في

الانسان ولا يحملهُ على السلوك الحسن الناشيء عنهُ فهو حقير في ذاتهِ ناقص في مرماهُ

﴿ اما الدليل الثالث على حسن التهذيب فهو قوة التروي والتعوُّد عليهِ ﴾ . قال الكاتب كثيرًا ما عُيرنا نحن المحدثين وبالاخص الاميركيين باننا مغفلو ملكة التروي وخصائصها السامية وذلك ناشيء عن اشغالنا الشاغلة ومناحينا المتعددة واعدامنا الابعاد والوقت بالبخار والكهربائية. نرى العالم باسره قريبًا منا وماجرياتهُ ترد الينا بواسطة الجرائد اليومية فيطير فكرنا من منيلا الى بكين ومن بكين الى الترنسفال ومن الترنسفال الى هنالك. تمزقنا العواطف المتضاربة وتشغل افكارنا تصوُّرات شتَّى تتبع بعضها بعضًا بسرعة غريبة تقصر دونها عن التروي في اية حقيقة كانت من الحقائق العظمى. هذا ما يوجههُ الينا المنتقدون وحقيق ما هو

قال سقراط ان الحياة بدون النظر الداخلي وفحص النفس لا تعتبر حياة — الحياة التي لا ترى على ما جرى لها في الماضي ولا تعيِّن غاية لها في المستقبل — الحياة التي لا غرض لها ولا تدرك ما يمر بها باطنًا او ظاهرًا — هذه الحياة هي حياة حيوان لا حياة انسان . وهنا تظهر المقابلة بين العقل المهذب والعقل غير المهذب — لصاحب العقل المهذب فطنة وتروٍ واعتبارات خاصة تحملهُ ابدًا على العمل في الحالات الجديدة التي ينشرها لديهِ سجلُّ الزمان مقتنعًا بصحة ما يعمل لا يقلع عنهُ الاَّ اذا ظهرت لديهِ ادلة اوضح واكمل تحملهُ على ذلك — لصاحب العقل المهذب اقيسة من الحقائق والحكمة والاختبار البشري يقيس بها كل امر جديد يطرأ عليهِ وهذه الاقيسة لا تكتسب الاَّ بحسن التأمُّل والتروي . اما العقل غير المهذب فليس الاَّ فريسة لتخيلات الطيَّارة وضحية للتعاليم الملبَّسة .

وما اصدق ما قالهُ رنان ان اول شرط لارتقاء العقل هو ان يكون لهُ حرية . وعنى بحرية العقل عتقهُ من سلطة مالا يُعقل واطلاقهُ ليختار المعقول المطبَّق على المبادىء القويمة اذ لا بدَّ لكل رجل مهذب من جملة مبادىء يعتصم بها ويدرج تقدمهُ عليها . ولا مشاحة ان درس الفلسفة هو الذي يرقي قوة التروي في الانسان الى ان تصبح عادة بحكم الاعادة ومثل ذلك درس آداب اللغة والنظامات السياسية والعلوم الطبيعية من وجه فلسفي

واعلم انك متى اخذت تسأل "كيف" "ولماذا" فانت على طريق العلم والفلسفة وبداءة التروي. والرجل الحقيقي التهذيب يسأل هذين السؤالين على الدوام وتكون النتيجة انهُ يمارس التروي والتبصر في اقوالهِ وافعالهِ

﴿ اما الدليل الرابع على حسن التهذيب فهو قوة النمو ﴾ . من العقول ما يرقى الى درجة معينة ثم يتبلور تبلورًا او يجمد ويأبى النمو فيما بعد فيعيش صاحبهُ وكأن عقلهُ في عالم الغيبوبة لا يعمل

من الاعمال الاَّ ما يبقيهِ حيث هو لا حركة ولا تقدُّم ولا قوة جديدة . ولا دافع على الدرس المتواصل والتعليم الذاتي اللذين هما ركنا التهذيب ومجلبا نموهِ

ولا مراء ان العقل النامي المرتقي مدى الحياة هو غاية في الجمال ومدعاة لاعجاب الناس . وهذا ما رفع المستر غلادستون الشهير الى مناصبهِ العديدة واحلَّهُ اخيرًا المكانة الاولى عند امتهِ وجعلهُ جذَّابًا للشبان محبي الرفعة والجاه وهو مثال ما ينعلهُ كل عقل مدرَّب يصاحبهُ سعة النظر ورحابة الصدر وعمق التروي وبعد المرمى اثمار التهذيب ومظاهر نموهِ

ثم انهُ من الضروري لهذا النمو ان يكون للانسان غرض عام لان التضييق العقلي والادبي يضاد النمو نهو والنمو في حرب مستمرة . ولا ينكر ان جانبًا من التهذيب الحالي هو غير التهذيب الصحيح لانهُ يجعل النمو صعبًا ان لم نقل مستحيلاً . وهذا ما يعترض بهِ على بعض مديريهِ المدارس الاجنبية في بيروت وغيرها وهو انهم يسوقون تعاليمهم وذرائع تهذيبهم للطلبة في وجهة لا تتسع للعقل مجالاً للتروي ولا تعوِّدهُ ارجاع المعلولات الى علاتها والاستفهام عن الغامض "بكيف" "ولماذا" بل هم يلقون مواد تعليمهم في عقول الطلبة لنمو التعصب المذهبي عوضًا عن تربيتهم على التساهل واعتبار الناس كلهم اخوانًا في البشرية يتعاونون معًا في الحياة الدنيا على ترقية الهيئة الانسانية بخدمة بعضهم بعضًا . وعسى ان لا تطول هذه الحال بل يقوم من ابناء الشرق من يضرب على يد كل اجنبي يسعى في ازدياد انشقاقنا وتفرُّق كلمتنا بتشريبنا حب التعصُّب والانقسام ويعضد كل من يعمل على تعميم التهذيب الحقيقي وانتشار التعليم القويم

ومن اعداء النمو ايضًا التبرغ الباكر في الحياة لعلم ما فانهُ يحدد مجال المعرفة والمصلحة ويقودُ الانسان الى التقصير عن ادراك نسبة مصلحتهِ الخاصة الى مصالح غيرهِ . قال الاسقف سبولدن في خطاب لهُ ان الحياة تجلس قوة يرتقي فيهِ الانسان الى درجة الادراك الذاتي ومنها الى درجة معرفة عالم الحق والنظام والمحبة حيث يبطل العمل الناشيء عن الغريزة المحضة ويتسلَّط العقل والضمير على افعال الانسان وتصرفاتهِ . ثم متى ترقَّى هذا التسلط تعمدًا واختيارًا فذلك هو التهذيب او التربية

❁ والدليل الخامس على حسن التهذيب هو المقدرة على العمل ❁ ولقد فات الزمان حينما كانت الغاية الكمالية من التهذيب الانسحاب من العالم ومتعابهِ للاعتزال والتعمق في التأمُّلات والتخيلات الفارغة واليوم لا يعتبر الرجل حقيقي التهذيب ما لم ينتظم في سلك العمل ويبرهن عن درجة معارفهِ بتشغيل ذهنهِ ولسانهِ ويدهِ ويسعى في تحسين الهيئة التي تضمهُ ثم يترك العالم ارقى مما لقيهُ . فالعمل ثمرة العلم ودليل على حيوية التهذيب . اعملْ يا من تدعي العلم وبسطة

المعرفة وسعة الاطلاع وكثرة المحفوظات اعمل ايّ عملٍ شئت على شرط ان تتقنهُ وتنفع بهِ . عبّر عما تعرفهُ بطريقة مفيدة ولا تحتقر العمل تحقّراً ولا تكتفِ بالمعارف الوجدانية ولا تتوانَ عن اظهار شيءٍ منها للغير فتكون اشبه برجل على جانب نهر يحاول العبور الى الجانب الآخر وقوة الماء تصدهُ ويرى لديهِ من الاخشاب والادوات ما يستطيع بها صنع رمث يركبهُ ولكنهُ لا يمد لذلك يداً ويقضي الايام حيث هو . والذي يعلم ان اميركا اكتشفت سنة ١٤٩٢ ويجهل الاحوال التي صاحبت ذلك الاكتشاف ولا يعرف علاقة هذا التاريخ بغيره ولا يدرك السبب في اهميتهِ واستعمالاتهِ فاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ او سنة ١٢٩٤ عندهُ سيان

هذه الخصائص الخمس (اتقان اللغة الوطنية وحسن السلوك وعادة التروي وقوة النمو والمقدرة على العمل) هي ادلتي على حسن التهذيب وبها يعرف المهذبون وفي ساحتها يلتقي الطبيب باللغوي والطبيعي بالنياسوف وكلٌّ يعرف ان صاحبهُ عالم مهذّب مع ان وجوه معارفهم مختلفة ومواقف مراميهم متضاربة ولكنهم متحدون بالاخاء مرتبطون بربط الصفات التي نشأت في عقولهم مما تدربوا عليهِ من العلم والعمل

وليكن معلوماً ان بدون هذه الصفات لا يكون الرجل حقيقيّ التهذيب ولو مهما اتسعت دائرة معارفهِ بل يكون اشبه شيءٍ بمتحف الآثار المصرية يبدي بدائع الصنائع وهو ميت بذاتهِ . ولا شيءٌ يرينا ويري الناس ايضاً اننا اكتشفنا السر في تحصيل التهذيب مثل هذه العادات والصفات التي تنشأ فينا ايام الدرس والتعلّم ونتقوى بمرور السنين واتساع الاختبار

بيروت المدرسة الكلية الاميركية — بولس الخولي

مدرس العربية في القسم الاستعدادي

التحف والذخائر

لماذا يدفع هذا الرجل الف جنيه ثمن حجر من الماس يحلّي بهِ اصبعهُ او اصبع زوجتهِ وهو لو شاء لابتاع بهِ الف اردب من الحنطة كفتهُ وكفت زوجتهُ واولادهُ مئة عام . ولماذا يدفع ذاك الفي جنيه ثمن كتاب قديم وهو يُطبع كل يوم وتباع النسخة منهُ ببضعة غروش . ولماذا يدفع ذلك عشرة آلاف جنيه ثمن صورة باعها مصوّرها بمئة جنيه وهو يحسب انهُ جوزي على تصويرها احسن جزاء . ولماذا يدفع الغواة الف جنيه ثمن طابع البريد واصل ثمنهِ غرش او نصف غرش . لماذا هذه المغالاة بالاشياء النادرة مهما كان نوعها صوراً وتماثيل وحجارة كريمة